ابن السّكيت
شَارح دواوين الشّعراء
(186 ـ 244هـ)

ابنُ السّكيتِ، شَارحُ دَواوينِ الشُّعراءِ، وحافِظُ الشِّعرِ العربيِّ وراويهِ، ومُصلحُ النُّطقِ العربيِّ في اللِّسانِ العربيِّ المُبينِ. فهو مِنْ ذَوي الشَّأنِ في عُلومِ اللُّغةِ والأدبِ، ومِنْ أَساطينِ العلمِ الأوائلِ الَّذِيْنَ عاشوا في العصرِ العباسيِّ، وحاولَ كَغيرِهِ ـ عَلى الرَّغمِ مِنْ أَصلِهِ غيرِ العربيِّ ـ مِنْ عُلماءِ اللُّغةِ، حمايَةَ اللُّغةِ العربيَّةِ وأَلفاظِها وقَواعدِها مِنَ اللَّحنِ والخَطأِ، ومِنْ حَركَةِ العَجمنَةِ الَّتِي غَزَتِ المُجتمعَ العربيَّ والإسلاميَّ، وحاولَتِ التَّشويشَ عَلى اللُّغةِ العربيَّةِ، وتَحريفَ قَواعدِها، وحَرفَ أَلفاظِها في عُقرِ دارِها، وذَلِكَ بَعدَ أَنْ فَتَحَ خُلفاءُ بَني العبَّاسِ البابَ عَلى مِصراعيهِ لِلأَعاجمِ الَّذِيْنَ والوهُمْ في تَبوُّءِ المَناصبِ العلميَّةِ والإداريَّةِ في الدَّولَةِ، وشَجَّعوهُمْ عَنْ سَبقِ رَصدٍ وتَعمُّدٍ لِلسَّيطرَةِ عَلى شُؤونِ الحياةِ في المُدنِ والحواضِرِ، والهيمنةِ عَلَى المَرافقِ العامَّةِ فيها.

أَجَل، لَقَدْ كانَ «ابنُ السّكيتِ» مِنْ أَعلامِ العربِ المُسلمينَ الأوائلِ المنحدرين مِنْ أَصلٍ غيرِ عَربيٍّ، الَّذِيْنَ سَعَوا بِكُلِّ جهدٍ وإِصرارٍ لأَجلِ حِمايَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ الجميلةِ مِنْ أَنْ

يُداخلَها اللَّحنُ والتَّحريفُ، وكانَ كتابُهُ «إصلاحُ المَنطقِ» أَوَّلَ كتابٍ رائِدٍ عَلى هذا الطَّريقِ، حيثُ قَدَّمَ فيهِ أَوَّلَ مُحاوَلَةٍ يَسعَى إليها عالمٌ بِلغَةِ العربِ وأَلفاظِهِمْ وكلامِهِمْ في التَّفريقِ بينَ اللَّفظِ العربيِّ المُبينِ والصَّحيحِ، وبينَ ما دَرجَ عَلى لِسانِ العامَّةِ مِنْ هذِهِ الأَلفاظِ ذاتِها الَّتِي داخلَها اللَّحنُ والتَّحريفُ، وهَذا أَمرٌ يَتَطلَّبُ درايَةً قُصوَى بِاللُّغةِ وقَواعدِها وبِلهجاتِ القبائِلِ العربيَّةِ، وبِدِلالَةِ الكَلماتِ وأَوزانِها ومُشتَّقاتِها، فَكانَ «ابنُ السّكيتِ» عالِماً بِكُلِّ ذَلكَ، مُحيطاً عِلمَهُ بِلهجاتِ العربِ وقِراءاتِها، ومُدركاً لِحقيقَةِ أَلفاظِها، ومُلِمّاً بِمصادرِها.

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ، أَنَّ «ابن السّكيتِ» عالمٌ موسوعيٌّ، عُرفَ بِغزارةِ إِنتاجِهِ العلميِّ والأَدبيِّ، وكما قيلَ عَنْهُ: إنَّ مُؤلَّفاتِهِ ـ ولا سيَّما كتابَهُ المَشهورَ «إِصلاحَ المَنطقِ» ـ خَلقَتْ حركةً أَدبيَّةً استمرَّتْ مِئاتِ السِّنين حَتَّى يومِنا هذا، حيثُ تَناوَلَها العُلماءُ والأُدباءُ بِالشَّرحِ والتَّهذيبِ والتَّنقيحِ، والرُّدودِ والتَّلخيصِ... إلخ.

ولا يَفوتُنا أَنْ نذكُرَ في هذا المَقامِ، أَنَّ «ابن السّكيتِ» كانَ مِنْ زُمرةِ العُلماءِ الرَّبانيينَ الَّذِيْنَ لا تَأْخذُهُمْ في قَولِ الحَقِّ لومَةُ لائِمٍ، قَدَّمَ حياتَهُ قُرباناً للمبادئِ الَّتِي آمَنَ بِها، وانعقَدَ عَليها قَلبُهُ، تِلكَ المبادئُ والغاياتُ النَّبيلةُ والشَّريفَةُ، والمُضيئَةُ في عالمِ القلبِ والرُّوحِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِتروقَ لِلحُكَّامِ وولاةِ الأَمرِ في ذَلِكَ الحينِ، وكَذَلِكَ لا تَروقُ لِمَنْ حَذا حَذوهُمْ في كُلِّ عَصرٍ وحينٍ.

فَمَنْ هُوَ «ابنُ السّكيتِ»، وأَينَ ولدَ وعاشَ، وما هيَ أَهمُّ معالمِ حياتِهِ؟

هذا ما سَنقرؤُهُ ونَعرفُهُ عبرَ هذِهِ الصَّفحاتِ.

❋ ❋ ❋

هوَ أَبو يوسُفَ يَعقوبُ بن إسحاقَ الخُوزيُّ، المَعروفُ بِـ «ابنِ السّكيتِ»، والسّكيتُ: لَقبُ أَبيهِ إِسحاقَ، وقيلَ: إِنَّهُ لُقِّبَ بِهذا اللَّقبِ لأَنَّهُ كانَ دائِمَ السُّكوتِ، ويُلازِمُ الصَّمتَ في أكثرِ أَحوالِهِ، ولا يَتكَلَّمُ إِلَّا عِندَ الحاجَةِ.

ومِنَ الواضِحِ أَنَّهُ مِنْ أَصلٍ غيرِ عَربيٍّ؛ إِذْ يُنسبُ إِلَى إِقليمِ خوزستانَ في بِلادِ فارس، غيرَ أنَّ أَباهُ كانَ يُجيدُ العربيَّةَ بإتقانٍ ومهارةٍ فائِقَةٍ، وكانَ مِنْ أَصحابِ شَيخِ نُحاةِ الكوفَةِ «أَبي حمزةَ الكِسائيِّ»؛ وقَدْ أَجمعَ المُؤَرِّخُونَ عَلى أَنَّ «ابن السُّكيتِ» ولدَ سنةَ (186) هجريَّةً، ولَكِنْ ذَكَرَ البَعضُ أَنَّهُ ولِدَ في الدُّروقِ، وهيَ مِنْ مَدائِنِ خوزستانَ، ثُمَّ رَحلَ مِنها إِلى بَغدادَ مَعَ أُسرَتِهِ، وفي الغالبِ أَنَّهُ ولِدَ في بَغدادَ، بَعدَ أنِ انتقَلتْ أُسرَتُهُ لِلعيشِ في بَغدادَ، ولازمَ أَبوهُ «الكسائِيَّ» وأَخذَ عَنهُ عُلومَ اللُّغَةِ العربيَّةِ حَتَّى أَصبحَ ضالِعاً فيها، فَأَجازَهُ شَيخُهُ «الكِسائِيُّ» بِالتَّعليمِ والتَّدريسِ.

نَشأَ «ابنُ السّكيتِ» في بيتِ علمٍ وأَدبٍ، ووَرعٍ ودينٍ، وتَلقَّى العلمَ عَنْ أَبيهِ منذُ نُعومَةِ أَظفارِهِ، وظَهَرَتْ عَليهِ مَخايلُ النَجابَةِ، وأَماراتُ الذَّكاءِ في وَقتٍ مُبكِّرٍ مِنْ حياتِهِ.

ويَذكرُ «ياقوتُ الحمويُّ» في مُعجمِ الأُدباءِ: أَنَّ رَجلاً ـ ورُبَّما كانَ مِنَ الأَعيانِ أَو العُلماءِ ـ رَأَى «ابنَ السِّكيتِ» وهوَ صَغيرٌ، يُسأَلُ، فَيُجيبُ، فقالَ: هذا الغُلامُ يَنالُ خيراً.

طافَ «ابنُ السِّكيتِ» عَلى كَوكبَةٍ مِنْ عُلماءِ عَصرِهِ يَأخذُ عَنْهُمْ، ويَسمعُ مِنهُمْ، وعلى رأسِهِمْ «أَبو عمرو الشَّيبانيُّ الكوفيُّ»[1]، و«نَصرُ بنُ يوسُفَ»[2] صاحبُ الكسائيِّ، و«ابن الأَعرابيِّ»[3] وغيرُهُمْ.

عَملَ «ابنُ السِّكيتِ» مَعَ أَبيهِ في تعليمِ وتَأديبِ الصِّبيانِ بِدارٍ في حَيٍّ مِنْ أَحياءِ بَغدادَ يُدعَى «دربُ القنطرةِ»، ويَذكرُ ابنُ عساكرَ: إِنَّ الحاجةَ إِلى الكَسبِ دَعَتِ ابنَ السّكيتِ لِتعلمِ النَّحوِ وتَعليمِهِ، وكانَ أَبوهُ يَأملُ ويَتَمنَّى أَنْ يُعلِّمَ ابنَهُ علمَ النَّحوِ، لِما يُدرُّهُ تَعليمُهُ مِنْ أَجرٍ وَفيرٍ، فَدَعا اللهَ وتوسَّلَ إِليهِ في إِحدَى زياراتِهِ لبيتِ اللهِ الحرامِ أَنْ يَرزقَ ابنهُ تعليمَ النَّحوِ، فاستجابَ اللهُ دُعاءَهُ، فَجعلَ «ابن السّكيتِ» يَختلفُ إِلى قَومٍ في دربِ القَنطرةِ، يُعلِّمُ أَولادَهُمُ النَّحوَ واللُّغةَ، وأَجروا لَهُ كُلَّ دَفعةٍ عَشرةَ دراهمَ وأَكثرَ، ثُمَّ تَعرَّفَ عَلى مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ ـ وكانَ مِنْ كبارِ الأَعيانِ وموظفي الدَّولةِ ـ وعَملَ مُؤدِّباً لِوَلدِهِ، فَأجرَى عليهِ مُرتَّباً شَهريّاً خَمسمئَةَ درهَمٍ، ثُمَّ جَعلَها أَلفَ درهمٍ، وعَنْ طَريقِهِ استدعاهُ الخَليفَةُ المُتوكِّلُ إِلىَ مكانِ إِقامتِهِ في «سُرَّ مَنْ رَأَى» لِتأَديبِ وَلديهِ المُؤَيَّدِ والمُعتزِّ.

❁ ❁ ❁

---

(1) إِسحاق بن مرار أَبو عمرو الشّيبانيّ الكوفيّ، كان مؤدباً لأَولاد الرّشيد وكان راوية أهل بغداد، واسع العلم باللّغة والشّعر وله عدّة كتب في اللّغة. توفي سنة 206هـ، وعاشَ 118 سنة.

(2) نَصرُ بنُ يوسُفَ صاحبُ الكسائيِّ كانَ نحوياً لغوياً، أخذ عنه كبار العلماء، ومنهم ابن السكيت.

(3) ابن الأعرابي: هو أبو عبد الله بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة، وهو من موالي بَني العباس بن عبد المطلب، كان رأساً في كلامِ العربِ.

اشْتُهِرَ «ابنُ السّكيتِ» بينَ عُلماءِ عَصرِهِ بِـ «شارحِ دواوينِ الشُّعراءِ»، فَكانَ حافِظاً لِلشِّعرِ راويَةً لَهُ، لَمْ يَدَعْ شاعراً مِنْ شُعراءِ العربِ في الجاهليَّةِ والإسلامِ، وإِلَّا وجَمعَ لَهُ شعرَهُ وشَرحَهُ، فَطفِقَ النَّاسُ يَقصدونَهُ لإِتحْافِهِمْ بِما يَحفظُهُ ويَرويهِ مِنْ شعرِ العربِ، وكَذلِكَ بِما يَعرفُهُ مِنْ لُغَتِهِمْ ودِلالةِ أَلفاظِها ومَعانيها.

يَقولُ عنهُ ياقوتُ الحمويُّ في مُعجمِهِ: «كانَ علَّامةً في القُرآنِ ونَحوِ الكوفيينَ، ومِنْ أَعلمِ النَّاسِ بِاللُّغةِ والشِّعرِ، راويَةً ثِقةً، ولَمْ يَكُنْ بَعد ابن الأَعرابيِّ مِثلُهُ».

وقالَ عَنهُ «أبو العبَّاسِ ثَعلبُ»: «أَجمعَ أَصحابُنا، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعدَ «ابن الأَعرابيِّ» أَعلمُ بِاللُّغةِ مِنِ «ابنِ السّكيتِ»[1].

فَكَما كانَ لابن السِّكيتِ دورٌ هامٌّ في جَمعِ أَشعارِ العربِ وتَدوينِها، كانَ لَهُ نَشاطُهُ المَلحوظُ في اللُّغةِ وعلمِ النَّحوِ. ولَقَدْ أَحدثَ كتابُهُ «إِصلاحُ المنطقِ» الَّذِي وَضعَهُ في اللُّغةِ وألفاظِها ودلالاتِها صَدىً واسعاً في عَصرِهِ، وبَوَّأَهُ مَكانَةً هامَّةً بينَ أَربابِ اللُّغةِ في مُختلفِ العصورِ.

فقالَ عَنهُ إِمامُ البَصريينَ في النَّحوِ «أَبو العبَّاسِ المُبرِّدُ»: «ما رأيتُ لِلبغداديينَ كتاباً أَحسنَ مِنْ كتابِ «ابنِ السّكيتِ» في المنطقِ».

ولَقَدْ كانَ اعتمادُ «الميدانيِّ» في كتابِهِ «مُعجمِ الأَمثالِ» عَلى رِواياتِ وشُروحِ وآراءِ

---

(1) كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان. وأبو العباس ثعلب كان إمام مدرسة الكوفيين في النحو.

«ابنِ السّكيتِ»، وكَذلكَ كانَ الأَمرُ مَعَ «البَغداديِّ» في كتابِهِ «خزانةِ الأَدبِ ولُبِّ لبابِ لِسانِ العربِ».

وما زالَتْ ـ في عَصرنا هذا ـ شُروحُ وآراءُ «ابنِ السّكيتِ» مَنهلاً ثَرياً لِعُلماءِ العربيَّةِ ولِلمُجتهدينَ في أُسُسِها وقَواعدِها.

ومِنَ الأَمثلةِ الَّتِي يَتبيَّنُ لَنا مِنْ خِلالِها غيرَةُ «ابنِ السّكيتِ» وحرصُهُ الشَّديدُ عَلى حمايَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ مِنَ اللَّحنِ والتَّحريفِ، ما ذَكرَهُ «ابنُ خَلكانَ» في «وَفيَّاتِ الأَعيانِ»:

«قالَ أَبو الحسنِ الطّوسيُّ: كُنَّا في مَجلسِ أَبي الحسنِ اللّحيانيِّ[1]، فقالَ يَوماً: تَقولُ العربُ: «مُثقَلٌ استعانَ بِذَقنِهِ»، فقامَ إِليهِ «ابنُ السّكيتِ» وكانَ حَدثاً فَقالَ: يا أَبا الحسنِ، إِنَّما هوَ «مُثقَلٌ استعانَ بِدَفَّيهِ» يُريدونَ الجملَ إِذا نَهضَ استعانَ بِجنبيهِ، فَقطعَ الإِملاءَ.

فَلمَّا كانَ المجلسُ الثَّاني أَملَى فقالَ: تَقولُ العربُ «وهوَ جاري مُكاشري»، فقامَ لَهُ «ابن السِّكيتِ» فقالَ: أَعزَّكَ اللهُ، وما مَعنَى مُكاشري؟ إِنَّما هوَ «هوَ مُكاسري» كسرَ بيتي إِلى كَسرِ بيتِهِ! قالَ: فقطعَ اللّحيانيُّ الإِملاءَ، فَما أَملَى بَعدَ ذَلكَ شَيئاً».

❁ ❁ ❁

شَهدَ «لابنِ السّكيتِ» في ضلوعِهِ بِاللُّغةِ والأَدبِ كَثيرونَ مِنْ عُلماءِ عَصرِهِ، أَو الَّذِيْنَ

(1) أبو الحسن اللحياني: هو علي بن حازم اللحياني، سمي بذلك لعظم لحيته. له كتاب النوادر، وأخذ عنه الأصمعي والكسائي، كان من كبار علماء بغداد.

أَتَوا بَعدهُ، وأَشادوا بِعلمِهِ وبِتَمسُّكِهِ بِدينِهِ ومبادئِهِ، وعَدُّوهُ مِنَ الرُّواة الثِّقاةِ. يَقولُ عَنهُ اللُّغويُّ المَشهورُ «أَبو الفداءِ»: «كانَ إِماماً في اللُّغةِ والأَدبِ».

وهوَ عندَ الأَنباريِّ: «مِنْ أَكابرِ أَهلِ اللُّغةِ».

ويَقولُ عَنهُ «ابن العِمادِ»: «سَبقَ أَقرانَهُ في الأَدبِ، معَ حَظٍّ وافرٍ في السُّننِ والدِّينِ».

وكانَ شَديدَ التَّمسُّكِ بِالسُّنَّةِ النَّبويَةِ، والعقائِدِ الدِّينيَّةِ، فَعدَّهُ الإِمامُ الذَّهبيُّ: قَوياً في دينِهِ، برّاً مُحتَسباً، وذَكَرَتْ عَنْهُ المَصادرُ: إِنَّهُ كانَ مُستَميتاً في حُبِّهِ للنَّبيِّ ﷺ، وفي مَحبَّتِهِ لآلِ بيتِهِ الأَطهارِ، وإِنَّهُ كانَ مِنْ خاصَّةِ الإِمامينِ الجَوَّادِ والهادي رضي الله عنهما، وأَشاروا إِلى رِواياتِهِ عَنِ الإِمامِ الجوَّادِ رضي الله عنه.

وذَكرَ لَهُ المُؤَرِّخُونَ الآثارَ التَّاليَةَ:

1 ـ كتابَ «إِصلاحِ المَنطقِ»: وعالجَ فيهِ ما طَرأَ عَلى لُغةِ العربِ مِنَ الخَطأ واللَّحنِ، وجمعَ فيهِ الأَلفاظَ الَّتِي تَتَّفقُ في الوزنِ الواحدِ معَ اختلافِ المَعنَى، أَو المُختلفةَ فيهِ معَ اتِّفاقِ المَعنَى، وما فيهِ لُغتانِ أَو أَكثرُ، وما يُعَلُّ وما يَصحُّ، وما يُهمزُ وما لا يُهمزُ، وما تُلحنُ فيهِ العامَّةُ، وما إِلى ذَلِكَ مِنْ فُصولِ الضَّبطِ اللُّغويِّ. يَقولُ الوزيرُ المُغربيُّ في كتابِهِ «المنخلِ في إِصلاحِ المَنطقِ»: «إِنِّي وَجدْتُ إِصلاحَ المَنطقِ طَريقاً مُعبَّداً لِسُلَّاكِ الأَدبِ، وداراً محلالاً مِنْ روَّادِ العلمِ، قراءَتُهُ فَريضَةٌ وحِفظُهُ سُنَّةٌ».

2 ـ كتابَ الأَضدادِ.

3 ـ كتابَ تَهذيبِ الأَلفاظِ.

4 ـ كتابَ القلبِ والإبدالِ.

وهذِهِ الكُتبُ وَصلتْ إلينا مَطبوعةً، ولَهُ مُؤلَّفاتٌ ما تزالُ مَخطوطةً ومَحفوظَةً في المَكتباتِ والمتاحفِ العربيَّةِ والعالميَّةِ، كما أَشارَ المُؤَرِّخُونَ إلى مُؤلَّفاتٍ لَمْ تَصِلْ إلينا، ضاعَتْ واندثَرَتْ.

كما كانَ «ابنُ السِّكيتِ» شاعراً مُجيداً، رَوَتْ لَهُ كُتُبُ الأَدبِ الكثيرَ مِنَ القَصائِدِ والأَبياتِ الشِّعريَّةِ الَّتِي قالَها في المُناسباتِ والأَحداثِ، إلَّا أَنَّهُ كانَ مُقِلّاً مِنْهُ، ولَمْ يَكُنْ قَولُ القَريضِ بِالنِّسبَةِ لَهُ حِرفَةً أَو هوايةً يُمارسُها في كُلِّ الأَوقاتِ كما يَفعلُ الشُّعراءُ، وإنَّما كانَ يَرتَجزُهُ عِندما تَفيضُ نَفسُهُ وتمتلئُ بِالمشاعرِ الفَيَّاضَةِ، والإحساسِ المُرهفِ، كما كانَ أَديباً أَريباً تَتَّصفُ أَقوالُهُ بِالجزالَةِ والحِكمَةِ.

ومِنْ أَقوالِهِ الَّتِي يُوصي بِها طالبَ العلمِ، قَولُهُ:

«خُذْ مِنَ الأَدبِ ما يَعلقُ بِالقلوبِ وتَشتَهيهِ الآذانُ، وخُذْ مِنَ النَّحوِ ما تُقيمُ بِهِ الكلامَ، ودَعِ الغَوامضَ، وخُذْ مِنَ الشِّعرِ ما يَشتَملُ عَلى لَطيفِ المعاني»[1].

❁ ❁ ❁

كانَت بِدايَةُ عَهدِ «ابنِ السِّكيتِ» مَعَ الخَليفَةِ المُتوكِّلِ، عِندما اختارَهُ الوزيرُ «ابنُ خاقانَ» لِيكونَ مُؤدِّباً ومُعلِّماً لِوَلديِّ الخَليفَةِ، وذَلكَ بَعدَ أَنْ سَمعَ الخَليفَةُ بِقوَّةِ عِلمِهِ وشدَّةِ دينِهِ واتِّباعِهِ لِسُنَّةِ النَّبيِّ الأَعظمِ ﷺ، فَاسْتدعاهُ إلى قَصرِ الخِلافَةِ في «سُرَّ مَنْ رَأى»،

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموي.

فَعكفَ «ابنُ السِّكيتِ» عَلى تَأديبِ ابنيّ الخليفةِ وتَعليمِهما أَحسَنَ تَأديبٍ وتَعليمٍ، حَتَّى صارا يَتسابقانِ إِلى تَقديمِ نَعليهِ، وكانَ الخَليفَةُ يُغدقُ عليهِ الأَموالَ والهَدايا ويُبالغُ في إِكرامِهِ، ثُمَّ ما لَبِثَ الخليفَةُ أَنْ جَعلَهُ في عدادِ نُدمائِهِ ومِنَ المُقرَّبينَ مِنْهُ، وعَلَى الرَّغمِ مِنْ نَصيحَةِ بَعضِ ذَوي الأَدبِ والأَربِ لِابن السّكيتِ بِتجنُّبِ مُنادمةِ الخليفةِ والعزوفِ عَنْ مَجلسِهِ إِلَّا لِحاجَةٍ، إِلَّا أَنَّ «ابن السّكيتِ» لَمْ يَكترِثْ لِلنُّصحِ، وأَقبلَ عَلى منادمةِ الخَليفَةِ، وفاتَهُ أَنَّ مَجالسَ ذَوي الأَمرِ والشَّأنِ لا يَخلو شَرُّها، ولا يَسلَمُ رُوَّادُها مِنْ حَسدِ الحاسدينَ، ومِنْ فتنَةِ الواشينَ، فَوقَعَ في ليلَةٍ ليلاءَ ما لَمْ يَكُنْ يَتوَقَّعُهُ «ابنُ السِّكيتِ»، أَو يَخطرُ عَلى بالِهِ، فَوقعَ المَكروهُ، وماتَ «ابنُ السِّكيتِ» شَهيداً، مُدافِعاً عَنْ مبادئِهِ أَمامَ جَبروتِ الخَليفَةِ وعسفِهِ.

وكانَ مِنْ خَبرِ هذِهِ الحادثةِ أَنَّ المتوكِّلَ قَدْ نَقمَ يَوماً عَلى أَنصارِ آلِ البيتِ ـ وكانَ «ابنُ السِّكيتِ» واحداً مِنهُمْ، فَعمَدَ المُتوكِّلُ إِلَى هَدمِ قبورِ أَعلامِ آلِ بيتِ النُّبوَّةِ ومَعدنِ الرِّسالَةِ، فَقالَ «ابنُ السِّكيتِ» أَبياتاً شعريَّةً يَنتقدُ فيها هَذا التَّصرُّفَ الَّذِي أَقدمَ عليهِ الخليفَةُ في غيرِ حَضرَتِهِ، فَنقلَها أَحدُ الوشاةِ على الفَورِ إِلى المُتوكِّلِ.

وعِندما حَضرَ «ابنُ السِّكيتِ» مجلسَ الخليفةِ، أَشارَ المتوكِّلُ إِلى وَلديهِ (المُؤيدِ والمُعتزِّ) وسأَلَهُ قائِلاً: يا يَعقوبُ، أَيُّهُما أَحبُّ إِليكَ: ولَداي المُؤيَّدُ والمُعتزُّ، أَمِ الحسَنُ والحُسينُ أَولادُ عَليٍّ؟ فرَدَّ عليهِ «ابن السِّكيتِ» بُكلِّ ثقةٍ ورَباطَةِ جَأشٍ: واللهِ إِنَّ قنبراً خادمَ عَليٍّ خيرٌ مِنكَ ومِنْ وَلديكِ، وفي رِوايَةٍ: ومِنْ أُمِّهِما، فَغضبَ المُتوَكِّلُ أَيما غَضبٍ، وقالَ لِحُجَّابِهِ ورِجالِهِ:

سُلُّوا لِسانَهُ مِنْ قَفاه، فَفعلوا، ثُمَّ داسوا بَطنَهُ، فَماتَ عَلى فَورِهِ.

وكانَتْ وفاتُهُ رَحمهُ اللهُ تَعالَى ليلَةَ الإِثنينِ لِخمسٍ خَلونَ مِنْ شَهرِ رَجبٍ سَنةَ (244) هجريَّةً، ويُقَالُ: إِنَّهُ بَلغَ مِنَ العُمرِ عندَ موتِهِ (85) سنةً، ويُقَالُ: إِنَّ المُتوكِّلَ أَرسلَ إِلى أَهلِ «ابن السّكيتِ» عَشرَةَ آلافِ درهماً، كَديَّةٍ وكَتعويضٍ عَنْ قَتلِهِ.

ومِنْ شعرِ «ابن السّكيتِ» قَولُهُ:

يا راقدَ اللَّيلِ مسروراً بِأَوَّلِهِ ... إِنَّ الحوادثَ قَدْ يُطرقنَ أَسحاراً

أفنَى القرونَ الَّتِي كانَتْ مُسلَّطةً ... مَرُّ الجديدينِ إِقبالاً وإِدباراً

مَنْ يُكابِدُ دُنيا لا مُقامَ لَها ... يُمسي ويُصبحُ في دُنياهُ سَيَّاراً

كَمْ أَبادَتْ صروفُ الدَّهرِ مِنْ مَلكٍ ... قَدْ كانَ في الأَرضِ نَفاعاً وضَرّاراً[1]

(1) البصائرُ والذّخائِرُ لأبي حيان التوحيدي.

الأسئلة والمناقشة

1 ـ ماذا حاولَ «ابنُ السِّكيتِ» أنْ يفعلَ؟

2 ـ ماذا قَدَّمَ «ابن السِّكيتِ» في كتابِهِ «إصلاحِ المَنطقِ»؟

3 ـ ماذا خَلَقَتْ مؤلَّفاتُ ابنِ السِّكيتِ؟

4 ـ ما هوَ أَصلُ «ابن السِّكيتِ» وأَينَ ولدَ، ومَنْ لازمَ أبوهُ؟

5 ـ مَنْ هُمْ أشهرُ العُلماءِ الَّذِيْنَ أَخذَ عنهُمُ ابنُ السّكيتِ العلمَ؟

6 ـ ماذا قالَ الوزيرُ المغربيُّ عن كتاب إِصلاحِ المنطقِ؟

7 ـ كيَفَ كانَ الخَليفَةُ المتوكِّلُ يُعاملُ ابنَ السّكيتِ؟

8 ـ لِماذا أمرَ المُتوكِّلُ رِجالَهُ بِتعذيبِ ابن السّكيتِ؟